

التوليب واللاهوت المُصلح: مثابرة القديسين

بقلم أر. سي. سبرول

كتب بولس لأهل فيليبي قائلاً "الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يُكْمَلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (فيلبي ١: ٦). هنا نجد وعد الله بأن ما بدأه في نفوسنا ينوي إكماله. لذلك فالحقيقة الكلاسيكية في اللاهوت المُصلح عن مثابرة القديسين هي: إن كنت تملكه — أي إن كان لديك إيمان حقيقي وأنت في حالة النعمة المُخلصة — فلن تفقده أبداً. إذا فقدته، فهو لم يكن لديك من الأساس.

نحن نعلم أن العديد من الناس يعترفون ويصرّحون بإيمانهم، ثم يتراجعون وينكرون أو تخلّون عن هذه التصريحات. يعلّق الرسول يوحنا بأنه كان هناك مَنْ خرجوا مِنْ بين التلاميذ، فيقول عنهم: "مِنَّا خَرَجُوا، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا، لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنَّا لَجَبُّوا مَعَنَا" (١ يوحنا ٢: ١٩). بالطبع كانوا مع التلاميذ بشكل ظاهري قبل مفارقتهم. فلقد صرّحوا بإيمانهم بشكل خارجي، كما وضح يسوع أنه يمكن للشخص أن يفعل ذلك حتى دون أن يمتلك ما يصرّح به. قال المسيح: "يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفْتِيهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا" (متى ١٥: ٨). حتى أن يسوع حدّر في نهاية الموعظة على الجبل أنه في اليوم الأخير، سيأتي إليه كثيرون، قائلين: "يَارَبُّ، يَارَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنبَأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أَصْرَحْ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا قَاعِلِي الإِثْمِ!" (متى ٧: ٢٣). لن يقول لهم: "كنت أعرفكم لفترة من الزمن، ثم تحوّلت عني وخنتموني. كلا، لم تكونوا قط جزءاً من كنيسة غير المنظورة". إن الهدف الأساسي من الاختيار الإلهي هو أن يقود شعبه بأمان إلى السماء؛ لذلك ما بدأه هو يعد أن يكمله. فهو لا يبدأ الحياة المسيحية فحسب، بل الروح القدس معنا ليقدّسنا، وبيكّننا، ويعيننا ليضمن الحفاظ علينا.

أريد أن أوكد أن هذا الثبات في الإيمان لا يعتمد على قوّتنا. حتى بعد تجديدها، مازلنا نسقط في الخطية، حتى أكثر الخطايا خطورة. ما نقوله هو إنه من الممكن للمؤمن أن يسقط بشكل خطير، نقصد بذلك الانحدار، والسقطات الأخلاقية، وما إلى ذلك. لا يمكنني أن أفكر في خطية ما لا يمكن للمؤمن المُجدّد حقاً أن يسقط فيها عدا التجديف على الروح القدس.

ننظر، على سبيل المثال، إلى نموذج داود في العهد القديم. كان داود بالتأكيد رجلاً بحسب قلب الله. كان بالتأكيد رجلاً مُجدّداً. كان بداخله روح الله. كما كان لديه محبة وشغف عميق للأمر المتعلقة بالله. ومع ذلك، فإن هذا لم يرتكب الزنا فحسب، بل كان أيضاً متورّطاً في مؤامرة لقتل زوج حبيبته في الحرب — وكانت في الواقع مؤامرة

للقتل العمد. كان ذلك أمرًا خطيرًا. على الرغم من أننا نرى مستوى التوبة الحقيقية التي قدمها داود نتيجة كلام النبي ناثان إليه، فالمقصود هنا هو أن داود سقط وكان سقوطه عظيمًا.

يحدّثنا الرسول بولس من وجود نظرة منتفخة لقوتنا الروحية. إذ يقول: "إِذَا مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَائِمٌ، فَلْيَنْظُرْ أَنْ لَا يَسْقُطَ" (١ كورنثوس ١٠: ١٢). نحن نسقط في أفعال خطيرة جدًا. الرسول بطرس، حتى بعد تحذيره، رفض المسيح، وأقسم أنه لم يعرفه قط — وهذه خيانة علانية ليسوع. لقد ارتكب خيانة في حق سيده. عندما تم تحذيره من حدوث ذلك، قال بطرس إن هذا لن يحدث أبدًا. فقال له المسيح: "سَمْعَانُ، سَمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَ كُفْمَ لِي؛ يُعْرِبُ لَكُمُ كَالْحِنْطَةِ! وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِي؛ لَا يَفْتِي إِيمَانُكَ. وَأَنْتِ مَتَى رَجَعْتَ تَبَّتْ إِخْوَتُكَ" (لوقا ٢٢: ٣١-٣٢). سقط بطرس، لكنه رجع. تم استرداده. كان سقوطه لحين. لهذا السبب نقول إنه يمكن للمؤمنين الحقيقيين أن يسقطوا بشكل خطير وكبير ولكنهم لن يسقطوا بشكل نهائي وكامل من النعمة.

أعتقد إن هذه العبارة القصيرة، مثابرة القديسين، مضللة بشكل خطير. فهي تشير إلى أن المثابرة شيء نقوم به، ربما من أنفسنا وبأنفسنا. أو من أن القديسين يثابرون في الإيمان، وأن من دعاهم الله بشكل فعّال وولدوا من جديد بقوة الروح القدس يثبتون إلى المنتهى. ومع ذلك، فإنهم لا يثابرون لأنهم مجتهدون للغاية في الاستفادة من مراحم الله. السبب الوحيد الذي يمكننا من خلاله توضيح سبب استمرار أي متّاب في الإيمان هو أننا محفوظون. لذلك أفضل تعبير **حفظ القديسين**، لأن العملية التي نحفظنا في حالة النعمة هي أمر يتممه الله. إن ثقتي في حفظي ليست في قدرتي على المثابرة. بل تركز ثقتي على قوة المسيح أن تحفظني بنعمته وبقوة شفاعته. فهو ضامن سلامة وصولي إلى موطني في السماء.

انظر أيضًا:

[التوليب واللاهوت المُصلح: مقدمة](#)

[التوليب واللاهوت المُصلح: الفساد الكلي](#)

[التوليب واللاهوت المُصلح: الاختيار غير المشروط](#)

[التوليب واللاهوت المُصلح: الكفارة المحدودة](#)

[التوليب واللاهوت المُصلح: النعمة التي لا تُقاوم](#)

[التوليب واللاهوت المُصلح: مثابرة القديسين](#)

الدكتور آر. سي. سبرول هو مؤسس هيئة خدمات ليجونير، وكان أحد رعاة كنيسة القديس أندرو في مدينة سانفورد بولاية فلوريدا، كما كان أول رئيس لكلية الكتاب المقدس للإصلاح. وهو مؤلف أكثر من مائة كتاب، بما في ذلك "قداسة الله" (*The Holiness of God*).

تم نشر هذه المقالة في الأصل في موقع [ليجونير](#).